عمر والحجاج

قال عبد الملك بن مروان للحجاج: مامن أحد الا وهو عارف بعيوب نفسه .. فعب نفسك ولا تخبأ منها شيئا .. قال :

ـ يا أمير المؤمنين انى لجوج حقود

فقال له عبد الملك :

ـ اذن بينك وبين ابليس نسب

فقال الحجاج :

ـ ان الشيطان اذا رآنى سالمنى

***

قال عمر بن عبد العزيز :

ـ لو جاءت كل أمة بخبثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم !

obeikandl.com

obeikandl.com

الحجاج وحفيد أبى بكر

هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه أبو بكر الى المدينة ومكثا فى الغار ثلاث ليال تضليلا للمطاردين ٠٠ وكانت أسماء بنت أبى بكر تنقل الطعام للنبى ولابيها اذا كان الليل ٠٠

ولقد نالها بعد رحيل أبيها مع الرسول أذى كبير ٠٠ اذ أتى بيت أبيها نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على الباب فخرجت عليهم فقالوا :

ـ أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟

فقالت لهم :

ـ لا أدرى أين أبى ٠٠؟

فرفع أبو جهل يده ولطم خدها لطمة قوية أطاحت قرطها ٠٠

★★★

وبعد ذلك بستة وثلاثين عاما كان زوجها الزبير بن العوام وابنها عبد الله يقاتلان عليا فى واقعة الجمل ٠٠ وقتل الزبير وكاد يقتل ابنه عبد الله ٠٠ ولكنه نجا ٠٠ فعاد الابن الى أمه أسماء دون أبيه

وكان عبد الله من صغره شجاعا شديد البأس ، وأول ما

علم من عمته أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان .. فمر بهم عمر بن الخطاب .. ففر الصبية ووقف هو .. فقال له عمر :

ـ مالك لم تفر معهم ؟

فقال الطفل :

ـ لم أجرم فأخافك .. ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك!

★★★

ومرت السنين وهرمت أسماء ، وكبر عبد الله واشتد .. وعلا أمره بعد موت يزيد بن معاوية ، حتى استخلف فى الحجاز وبايعه أهل مصر والعراق ، ولكن مروان أعاد مصر الى حظيرة بنى أمية ثم مات وترك الامر من بعده لابنه عبد الملك فى الشام ولابنه عبد العزيز فى صر ..

واشتد النضال بين الخلافتين ، والتنافس بين الزعامتين زعامة عبد الله بين الزبير على الحجاز والعراق ، وزعامة عبدالملك ابن مروان على الشام ومصر .. حتى لقد صرف عبد الملك الناس عن الحج وبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الاقصى وصار أخوه عبد العزيز بن مروان صاحب مصر يقف بالناس بمصر يوم عرفات ..

وكانت الفتن لاتفتر بين عبد الملك وابن الزبير وكانت الحروب تشتد عاما بعد عام حتى سار عبد الملك بنفسه الى العراق وهزم جيش مصعب أخى عبد الله بن الزبير ووليه

على البصرة وما زال مصعب يقاتل حتى قتل . ودخل عبدالملك الكوفة .. وبذلك لم يبق خارجا عن سلطان عبد الملك الا الحجاز ..

فوجه عبد الملك جيشا الى مكة يقوده الحجاج بن يوسف الثقفى لقتال عبد الله بن الزبير .. فسار اليه ، فلما وصل مكة حصر فيها ابن الزبير ، ورماها بالمجانيق ، واشتدت الحال على أهل مكة من وطأة الحصار ، فتفرقوا عن عبد الله بن الزبير وخرجوا بالامان الى الحجاج ، حتى لقد فارق ابن الزبير ، ابناه حمزة وخبيب !

وأسقط فى يد عبد الله . فدخل الى أمه أسماء بنت أبى بكر فقال :

- يا أماه .. خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، ولم يبق معى الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا .. فما رأيك ..؟

فقالت :

- أنت أعلم بنفسك . ان كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو .. فامض له فقد قتل عليه أصحابك .. ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بنى أمية ، وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت .. أهلكت نفسك ومن قتل معك .. وان قلت كنت على الحق ، فلما أوهن أصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين .. كم خلودك فى الدنيا ..!

القتل أحسن ..!

فقال :

ـ يا أماه ٠ أخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثـــلوا بى ويصلبونى

فقالت :

ـ يابنى : ان الشاة لاتتألم بالسلخ فامض على بصيرتك ، واستعن بالله ٠٠

فقبل عبد الله رأس أمه وقال :

ـ هـذا رأيى الذى خرجت به دائبـا الى يومى هـذا ٠٠ ماركنت الى الدنيا ، وما أحببت الحياة فيها ، وما دعانى الخروج الا الغضب لله ، وأن تستحل حرماته ، ولكنى أحببت ان اعلم رأيك فقد زدتنى بصيرة ٠٠ فانظرى يا ماه فانى مقتول يومى هذا ٠٠ فلا يشتد حزنك وسلمى الامر الى الله ٠٠ فان ابنك لم يتعهد ايثار منكر ، ولا عملا بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله ، ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعهد ظلم مسلم أو معـــاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به ، بل أنكرته ، ولم يكن شىء آثر عندى من رضا ربى ٠٠

اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسى ، ولكنى أقوله تعزية لأمى حتى تسلو عنى

فقالت أمه :

ـ لأرجو أن يكون عزائى فيك جميـلا ٠٠ أن تقـدمتنى

احتسبتك ، وان ظفرت سررت بظفرك .. اخرج حتى أنظر مايصير اليه أمرك

فقال :

ـ جزاك الله خيرا ، فلا تدعى الدعاء لى

فقالت :

ـ لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق

ودعت أسماء له قائلة :

ـ اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بمـــا قضيت ، فأثبنى فيه ثواب الصابرين الشاكرين

فتناول يديها ليقبلهما فقالت :

ـ هذا وداع فلا تبعد

فقال لها :

ـ وداعا يا أماه لانى أرى هذا اخر أيامى من الدنيا

قالت :

ـ امض على بصيرتك وادن منى حتى أودعك

فدنا منها ، وقبلها ، وعانقها وهى تمر بيديها على وجهـــه وقد كف بصرها ..

ثم خرج عبد الله فقاتل حتى قتل .. وبعد قتله أمـر ذلك

القاسى الحجاج بن يوسف فصلبت جثته ، ثم أنزلت بأمر من عبد الملك ..

وماتت أسماء بعد مصرعه بقليل وعمرها مائة عام

ابن جـــلا

وبعد قتل عبد الله بن الزبير ، أصبح الأمر لعبد الملك فى جميع الامصار الاسلامية وبقى الحجاج واليا على مكة والمدينة.. مدة من الزمن ، استخف فيها بأهلهما وأساء اليهم ، وختـــم فى المدينة أيدى جماعة من الصحابة بالرصاص استهزاء بهـــم وتنكيلا ..

وفى عام ٧٥ هـ نقل عبد الملك الحجاج بن يوسف عن ولاية الحجاز وولاه العراق .. فسار الحجاج الى الكوفة حتى دخلها . فبدأ بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خـــز حمراء . . فاجتمع اليه الناس وهو ساكت قد أطال السكوت ثم كشف اللثام عن وجهه وقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفونى

يا أهل الكوفة انى لارى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها ، وانى لصاحبها ..وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى..

واستمر يخطب حتى قال :

ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا ، وأصلبها مكسرا فرماكم بى لانكم طالما أوضعتم فى الفتنة ، واضطجعتم فى مراقد الضلال ... والله لاحزمنكم حزم السلمة ، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل .

... وان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم وأن اوجهكم لمحاربة عدوكم مع (المهلب بن أبى صفرة) وانى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه.

ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين

فقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله - عبد الملك أمير المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين - سلام عليكم

فلم يقل أحد شيئا ..

فقال الحجاج

- أكفف ياغلام

ثم أقبل على الناس فقال :

- أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا ! أما والله لأؤبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمن .. اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين.

فلما بلغ الى قوله سلام عليكم ، لم يبق أحد فى المسجد الا قال :

- على أمير المؤمنين السلام

ثم نزل الحجاج ، فوضع للناس أعطياتهم.. فجعلوا يأخذون، ثم أتاه شيخ يرعش كبرا .. فقال :

- أيها الأمير ، انى من الضعف على ماترى ، ولى ابن هو أقوى على الاسفار منى فتقبله بدلا عنى

فقال الحجاج : نفعل أيها الشيخ

فلما ولى ، قال قائل :

ـ أتدرى من هذا أيها الامير ؟

ـ لا

ـ هذا عمير بن ضابىء ، دخل على عثمان مقتولا فكسر ضلعا من أضلاعه

فصاح الحجاج : ردوه

فلما رد ، قال له :

ـ أيها الشيخ . ان فى قتلك صلاحا للمسلمين .. ياحرس اضربن عنقه .

★★★

ثم ذهب الحجاج الى البصرة .. فخطب فيها خطبة تشبه خطبته فى الكوفة .. وحذر الناس أن يتخلفوا بعد أخذ أعطياتهم عن التوجه مع ابن أبى صفرة لمحاربة الخوارج فأتاه رجل يشكرى فقال :

ـ أيها الأمير ، ان بى فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرنى .. وهذا عطائى مردود الى بيت المال ..

فلم يقبل الحجاج منه وقتله .. ففزع لذلك أهل البصرة وخرج الحجاج حتى نزل « رستقباذ » فى شعبان سنة ٧٥ ومعه وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ١٨ فرسخا فقام فى الناس فقال :

obeikandl.com

ـ ان الزيادة التى زادكم ابن الزبير فى اعطياتكم لست أجيزها ..

فقام اليه عبد الله بن الجارود وقال :

ـ انها ليست بزيادة ابن الزبير ، ولكنها زيادة أميرالمؤمنين عبد الملك أثبتها لنا ..

فكذبه الحجاج وتوعده .. فخرج عليه ابن الجارود ، وتابعه وجوه الناس ..

فقاتله الحجاج حتى قتله وقتل جماعة من أصحابه ، وبعث برؤوسهم الى المهلب وهو يقاتل الخوارج !

★★★

وهكذا حكم الحجاج العراقيين ، وساسهم بالعنف والشكيمة وأنزل فوقهم وفوق الخوارج خاصة سيفه البتار .. يقطع رءوسهم حتى بلغ من قتلهم ألوفا وألوفا ..

ولقد نجح الحجاج فى اخماد الفتن ، وتمكين الامر للأمويين فى العراق وخراسان ؟ وما فتح فى المشرق من أرضين .. وكذلك شتت الخوارج وكبح جماحهم وقتل رجالهم .. وكان الفضل الاكبر فى حروبهم وقتلهم لذلك القائد الكبير المهلب ابن أبى صفرة ولا بنيه المغيرة ويزيد ..

ولم تجىء سنة ٨٦ حتى سكنت كل فتنة .. وعلا الحجاج فى المشرق لايعارضه أحد ، ولا يقبل أن يعلو الى جواره فى العراق انسان .. يضطهد أهل العراق ويذل عظماءهم ويسرف

فى القتل لتأييد سلطانه وسلطان الخليفة حتى ضج أهل العراق ، وبحثوا دون جدوى ، عن منقذ أو حام من عسف الحجاج وتلفت العراقيون حولهم عن بلد يهرعون اليه هربا من طغيان الحجاج ، فكانت أبصارهم ترتد حسرة ٠٠ اذ وجدوا الوليد فى الشام وهو الذى مكن للحجاج فى المشرق وترك له الامر يجور فيه ماشاءت له نفسه ٠٠ وهو الذى يتولى الأمر فى الشام فى حزم وشدة أيضا ٠٠ فكيف ينفذون من نار الى نار ٠٠ وكيف يخرجون من العراق الى الشام ليقعوا فى براثن الوليد فينكل بهم ، فيأمر بقتلهم أو يعيدهم الى العراق أذلاء خاضعين ٠٠ وكذلك هم لايستطيعون الهجرة الى الحجاز ٠ ٠ فولاة الوليد فيه لم يعرف عنهم عدلا ولا رحمة ٠

وتلفتوا الى مصر علها تكون منفذا ، فوجدوا على رأسها عبد الله بن عبد الملك أخا الخليفة ، يرتش من الناس ويحب المال حبا جما ، ثم رأوا عليها قرة بن شريك من أشر خلق الله يعيث فى مصر فسادا ويرتكب المنكر حتى لقد أمره الوليد ببناء جامع مصر والزيادة فيه ، ففعل ٠٠ وكان الصناع اذا انصرفوا من البناء دعا بالخمور والزمور والطبول ، فيشرب الخمر فى المسجد طول الليل ٠٠ ويقول :

ـ لنا الليل ولهم النهار

وكاد يسقط فى أيدى العراقيين الذين يحسون شدة الحجاج عليهم ، وأظلمت الدنيا أمامهم ٠٠ ولكن نورا انبثق فى الحجاز أعاد الامل الى نفوسهم ، واتجهت قلوبهم وأبصارهم اليه فقد

بدأ الخير يعم أنحاء الحجاز ... والعدل ينشر أشعته فى ربوعه .. فقد تولى الامر فيه عمر بن عبد العزيز

وهرع كثير من العراقيين الى الحجاز لاجئين فرادا وجماعات وتوالى مهاجروهم الى مكة والمدينة ينشدون فيهما عدل عمر بن عبد العزيز

أمير الحجـــــاز

استعمل الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز على الحجاز (المدينة ومكة والطائف) .. وكان عمر يرى أن الوليد قد حكم الامصار عن طريق عماله حكما شديدا يتخلله كثير من القسوة والظلم .. وهو لايريد أن يجارى الوليد وامراءه بل يريد أن تكون له طريقته الخاصة فى الحكم والادارة .. فأبطأ عمر عن الخروج الى الحجاز .. فقال الوليد لحاجبه :

ـ ويلك مابال عمر لايخرج الى عمله .. قال :

ـ زعم أن لهاليك ثلاث حوائج قال :

ـ عجله على ..

وجاء عمر الى الوليد وسأله عن سبب تأخره فقال عمر :

ـ انك استعملت من كان قبلى ، فأنا أحب ألا تأخذنى بعمل أهل العدوان والظلم والجور ..

فقال له الوليد :

ـ اعمل بالحق وان لم ترفع الينا درهما واحدا

وهكذا اشترط عمر قبل أن يتولى الامارة أن تترك له حرية العمل ·· ثم دخل المدينة واليا على الحجاز سنة ٨٧ وكان عمره لايتجاوز خمسة وعشرون عاما ··

ونزل فى المدينة دار جده مروان ·· وبعد أن صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة منهم عروة بن الزبين ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة (وهو الذى تأدب عليه عمر صغيرا) وغيرهما من سادة الفقهاء ·· فلما دخلوا عليه أجلسهم ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

— انى انما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه اعوانا على الحق ·· ما أريد أن اقطع أمرا الا برأيكم او برأى من حضر منكم ·· فان رأيتم أحدا يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لى ظلامة فأحرج الله على من بلغه ذلك الا بلغنى ··

فخرج الفقهاء من عنده يجزونه خيرا

وسار عمر فى المدينة أحسن سيرة ، رغم أنه كان غنيا متأنقا ، يرتدى أجود الملابس وأثمنها ، وكان يرخى شعره ، ويسبل أزاره ، ويتبختر فى مشيته فلقد كان عمر من أعظم الأمويين ترفها وتملكا ·· غذى بالملك ونشأ فيه وعاش فى عزه وثرائه ·· كانت تعصف ريحه فينتشر شذاها فى المكان الذى يمر فيه وكان يمشى مشية تسمى (العمرية) فكان الجوارى يتعلمنها من حسنها وتبختره فيها ·· ولما ولى الخلافة فيما بعد ·· أراد أن يغير مشيته فلم يستطع تركها اذ كان قد اعتادها ·· فربما قال لمزاحم مولاه وملازمه :

- ذكرنى اذا رأيتنى أمشى .. فيذكره فيخلطها ثم لايستطيع الا اياها فيعود اليها .. ولكن عمر لم يكن فى ذلك ماجنا ولا عابثا .. وهو مع تأنقه وتعطره لم يطعن فى سيرته أو حكمه .. بل كان ورعا تقيا لايترك صلاة ، ويمتلأ قلبه بتقوى الله ، وعن أبى عمر مولى أسماء بنت أبى بكر قال :

- خرجت من جدة بهدايا لعمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة فأتيته فى مجلسه الذى يصلى فيه الفجر ، والمصحف فى يده ودموعه تسيل ..

وقدم أنس بن مالك ، خادم النبى صلى الله عليه وسلم من العراق الى المدينة وعمر أميرها .. وكانت تعجب أنس صلاة عمر ، فصلى أنس خلفه فقال :

- ماصليت خلف أمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة بصلاة رسول الله من امامكم هذا ..

وكذلك لم يكن تأنقه فى ملبسه ومشيته تيها وعجبا وكبرياء .. فقد كان حكيما متواضعا ، كان يزور الناس فى بيوتهم وكثيرا ما كان يذهب الى دار معلمه القديم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بدل أن يحمله وهو شيخ هرم على المجىء الى داره ..

وكان فى المدينة عالم شيخ يدعى سعيد بن المسيب لايأتى أميرا ولا خليفة فأرسل عمر بن عبد العزيز رسولا اليه يسأله عن مسألة فى العلم .. فأخطأ الرسول فقال لسعيد :

ـ الامير يدعوك ٠٠ فأخذ نعليه وقام الى عمر ٠٠ فلما رآه وكان يعرف جفافه وتقشفه واعتزاله الولاة والحكام ، اعتذر اليه قائلا :

ـ يا أبا محمد ، انا أرسلنا رسولنا ليسألك عن حاجتنا ، ولم نرسله ليدعوك ولكنه أخطأ ٠٠

وحدث له مع هذا العالم نفسه حادث آخر يدل على شدة تواضعه اذ خرج ذات ليلة الى المسجد ٠٠ فقام ليصلى وكان حسن الصوت ٠٠ فصلى قريبا من سعيد بن المسيب ٠٠ فقال سعيد لغلامه برد :

ـ ليس المسجد لنا

فسمع ذلك عمر فأخذ نعليه، وتنحى الى ناحية من المسجد٠٠

★★★

وأخذ عمر يعمر المدينة ، ويمهد دروبها والطرق المؤدية اليها ، والطرق المختلفة فى أنحاء الحجاز ٠٠ وحفر الآبار ٠٠ وعمل عمر بالمدينة الفوارة التى يستقى منها أهل المدينة وأجرى اليها الماء ، وأمر لها بقوام يقومون عليها وأكبر اصلاح أتمه فى المدينة هو بناء مسجدها من جديد ٠٠ اذ أمره الوليد فى السنة التالية لولايته المدينة ان يهدم المسجد النبوى ، ويهدم بيوت أزواج الرسول ويدخلها فى المسجد ، ففعل واشترى دورا فى مؤخر المسجد ونواحيه ليزيد المسجد اتساعا ٠٠ وجاءه عمال وبناءون من الشام ٠٠ وبدئت عمارة المسجد النبوى ٠٠ وأدخلت فيه جميع الحجر التى كانت

لازواج رسول الله ٠٠ ولم يبق الا حجرة عائشة التى فيهـــا القبور الثلاثة ٠٠ وكان من رأى بعض أهل المدينة أن لاتكون فى المسجد خشية أن يستقبلها بعض المسلمين فى صلاتهـم يشبهونها بالكعبة ٠٠ ففكر فى ذلك عمر ٠٠ وهداه فكره الى أن يثلث جهتها الشمالية حتى تنتهى بزاوية لايمكن استقبالها فصار شكل الحجرة مخمسا

وبعد أن أتم بناء المسجد حج الوليد سنة ٩١ فلما وصل المدينة دخل ومعه عمر بن عبد العزيز الى المسجد ينظـر الى بنائه فأخرج الناس منه ، فما ترك فيه أحد الا ذلك العـــالم الزاهد ، سعيد بن المسيب٠٠ فقد بقى فى المسجد مايجترىء أحد من الحرس أن يخرجه ٠٠ وما عليه الا ربطتان ماتساويان خمسة دراهم ٠ فقيل له :

ـ لو قمت ٠٠!

فأبى أن يقوم قبل الوقت الذى كان يقوم فيه قبل :

ـ فلو سلمت على أمير المؤمنين ٠٠

فأبى أن يقوم اليه

فجعل عمر بن عبد العزيز يعدل بالوليد فى ناحية المسجد رجاء أن لايرى سعيدا حتى يقوم ٠٠ فحانت من الوليد نظرة الى القبلة فقال :

ـ من ذلك الشيخ ؟ أهو سعيد بن المسيب ٠٠ قال عمر :

ـ نعم ٠ ومن حاله كذا وكذا ٠٠ فلو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر ٠٠

قال الوليد :

ـ قد علمت حاله ونحن نأتيه ٠٠ فدار فى المسجد حتى أتاه فقال :

ـ كيف أنت أيها الشيخ ٠٠؟

فرد سعيد دون أن يقوم للخليفة أو يتحرك ٠٠

ـ بخير والحمد لله ٠٠ فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ٠٠؟

قال الوليد : خير والحمد لله

وانصرف الوليد وهو يقول لعمر :: هذا بقية الناس ٠٠!

كيف بخبيب !

وكما أمر الوليد ببناء المسجد النبوى فى المدينة أمر ببناء المسجد الأموى بدمشق ٠٠وامتاز عهدالوليد بالبناء والاصلاح والتعمير فى مختلف الامصار ، لا فى الحجاز فحسب ٠٠ ولكن الحجاز امتاز فى عهد عمر بن عبدالعزيز بالعدل نشره فىربوعه والجود أسبغه على محتاجيه ٠٠ كان اذا أراد أن يجود بالشىء يقـول :

ـ ابتغوا أهل بيت بهم حاجة ٠٠

ولم يظلم عمر أحدا ٠٠ ولم يقس على أحد بغير حق ، غير أن حادثا عارضا جرى فى المدينة أيام ولايته ٠٠ جعل ينغص على عمر حياته وكلما تذكره امتلأ ندما ورهبـة من الله ٠٠ ذلك أن الوليد بعث الى عمر بن عبدالعزيز أن يضرب خبيب بن

عبد الله بن الزبير ٠٠ لانه سب الامويين فنفذ عمر أمر الخليفة ٠٠ ويظهر أن خبيبا كان ضعيف البنية واهن الجسد فأفضى الضرب الى موته ٠٠

ففزع عمر عندما علم بموته ٠٠

وكان اذا ماصنع خيرا ، أو فعل أمرا طيبا ٠٠ فقيل له :

ـ انك قد صنعت كذا فأبشر ٠٠ فيقول : وكيف بخبيب !

الرحيـــــل

هذا الرجل الورع الذى يخشى الله فى أمر كهذا كان للقدر السبب الاول فى وقوعه كان من شأنه أن يحسن ادارة الحجاز بالعدل والقسطاس ٠٠ وأن يرعى الله فى معاملة الناس ٠ ٠ فأعاد الى هذه البلاد رونقها وسيرتها الاولى فى بدء الاسلام ٠٠ وانتشر صيت عمر فى الآفاق ٠٠ واتجهت أنظار العراقيين اليه بعد ما أصلاهم الحجاج من العذاب صنـــوفا وألوانا ٠ ٠ فهاجروا أفرادا وجماعات الى الحجاز ومكة ٠٠ ليستظلوا بعدل عمـــر وجوده ، وليستمتعوا فى كنفه بالحـــرية والمســـاواة ٠٠ وغضب لذلك الحجاج فزاد عسفا وجورا ٠ وازداد العراقيون شكوى ٠٠ وهربا الى مكة والمدينة حيث يقصون فظائع الحجاج وألوان عدوانه ٠٠ فكتب عمر الى الوليد يخبره بظلم الحجاج وسفكه الدماء وما يفعل بأهل العراق ٠٠ وخوفه عواقبه ٠٠

وبلغ ذلك الحجاج فاضغنه ذلك على عمر ٠٠ وكتب الى الوليد:

ان مراق أهل العراق وأصل الشقاق قد جلوا عن العراق

ولجأوا الى مكة والمدينة وأن ذلك وهن ٠٠ وأوعز الى الوليد بعزل عمر ٠٠ فكتب اليه الوليد يستشيره فيمن يوليه مكة والمدينة ٠٠ فأشار عليه بعثمان بن حبيان٠٠وخالد بن عبد الله فعزل ابن عمه عمر بن عبد العزيز وولى خالدا مكة وعثمان المدينة ٠٠ فأخرجا عنوة من كان فيهما من أهل العراق ٠ ٠ وهددوا من أنزل عراقيا أو آجره دارا واشتدا على أهل مكة والمدينة قسوة وجورا

وخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة بعد عزله سنة ٩٣ بعد ست سنوات من العدل والاحسان والاصلاح فيها وتذكر وهو يبتعد قول رسول الله : ان المدينة تنفي خبثها ٠٠ فالتفت الى المدينة ٠٠ وتأمل المسجد النبوى وبكى وقال لمولاه :

— يامزاحم ٠٠ انى أخشى أن أكون ممن نفته المدينة ٠٠!

نصيحتك يا أبا حفص

غادر عمر المدينة الى دمشق ، وقد جرب بنفسه أصول الادارة والحكم ولبث الى جوار ابن عمه خليفة المسلمين يرى أخطاءه فلا يتردد عن أن يبينها له ، وكان يتقدم اليه بنصائح يرى الخير فيها ٠٠ كما أن الوليد نفسه كان يستنصحه ويستشيره كلما عن له ٠٠

أرسل الوليد مرة الى عمر فى الظهيرة فى ساعة لم يكن يرسل اليه فى مثلها فدخل عمر عليه ، فوجده مقطبا مغضبا فقال الوليد :

ـ اجلس هاهنا ٠٠ فجلس ولم يكن لديه الا خالد بن الريان قائما بسيفه

فقال الوليد :

ـ كيف ترى فيمن سبب الخلفاء ؟٠٠ أترى أن يقتل ٠٠؟

فسكت عمر ٠٠ فانتهره وقال :

ـ مالك لاتتكلم ٠٠ فسكت ، فعاد الى مثلها ٠ فقال عمر :

ـ هل قتل ياأمير المؤمنين ؟ قال :

ـ لا ولكنه سب الخلفاء ٠٠

قال عمر :

ـ فانى أرى أن ينكل بمثل ما انتهك من حرمة الخلفاء

فرفع الوليد رأسه الى ابن الريان وخيل الى عمر أنه يقول له اضرب عنقه ٠٠ ثم قام الوليد ، ودخل الى أهله وانصرف عمـــر ٠٠

***

ودخل عمر بن عبد العزيز على الوليد بن عبد الملك فقال :

ـ يا أمير المؤمنين ان عندى نصيحة ٠٠ فاذا خلا لك عقلك واجتمع فهمك فسلنى عنها ٠٠ قال :

ـ مايمنعك منها الآن ٠٠؟ قال :

ـ أنت أعلم اذا اجتمع لك ما أقول فأنك أحق أن تفهم ٠٠

فسكت الوليد أياما ثم قال : ياغلام من بالباب ؟ فقيل له : ناس وفيهم عمر بن عبد العزيز .. فقال : أدخله . فدخل عليه فقال الوليد

ـ نصيحتك يا أبا حفص .. فقال عمر :

ـ انه ليس بعد الشرك اثم أعظم عند الله من الدم .. وان عمالك يقتلون ويكتبون ان ذنب المقتول كذا وكذا وأنت المسئول عنه والمأخوذ به فاكتب اليهم ألا يقتل أحد منهم أحدا حتى يكتب اليك بذنبه ، ثم يشهد عليه ، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك .. قال الوليد :

ـ بارك الله فيك ياأبا حفص .. واستمع الوليد لنصيحته وكتب بذلك الى الامصار .. فلم يحرج من ذلك الا الحجاج .. فانه أمضه وشق عليه وأقلقه .. وظن أنه لم يكتب الى أحد غيره .. فبحث عن ذلك فقال : من أين دهينا ..؟! و من أشار على أمير المؤمنين بهذا ..؟! فأخبر أن عمر بن عبد العزيز هو الذى فعل ذلك .. فقال :

ـ هيهات ان كان عمر فلا نقض لأمره .. ثم أن الحجاج أرسل الى اعرابى جاف حرورى (من الخوارج) ، فجيء به فقال له الحجاج : ماتقول فى معاوية ..؟ فنال منه

فقال له : ماتقول فى يزيد ..؟ فسبه

قال : فما تقول فى عبد الملك .. ؟ فجعل منه ظالما

قال : فما تقول فى الوليد ..؟ قال : أظلمهم حين ولاك

وهو يعلم عدوانك وجورك ..؟! .. فسكت عنه الحجاج ، ثم بعث به الى الوليد وكتب اليه : أنا أحوط لدينى .. وأرعى لما استرعيتنى ، وأحفظ له من أن قتل أحدا لم يستوجب ذلك .. وقد بعثت اليك ببعض من كنت أقتل على هذا الرأى. وشأنك واياه ..

فدخل الحرورى على الوليد وعنده أشراف الشام وعمر فيهم. فقال له الوليد :

ـ ماتقول فى ؟ قال :

ـ ظالم جائر جبار ..!

قال : ماتقول فى عبد الملك ؟.. قال : جبار عات قال :

فما تقول فى معاوية ..؟ قال : ظالم . قال الوليد لابن الريان :

ـ اضرب عنقه

فضرب عنقه .. ثم قام الوليد فدخل منزله .. وخرج الناس من عنده فقال الوليد : ياغلام ، أردد عمر ، فرده عليه فقال :

ـ يا أبا حفص ماتقول فى هذا ..؟ أصبنا فيه أم أخطأنا ؟

فقال عمر :

ـ ما أصبت بقتله ، ولغير ذلك كان أرشد وأصوب . . كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل أو تدركه منيته فقال :

ـ شتمنى وشتم عبد الملك .. وهو حرورى .. أفتستحل ذلك ..؟ قال :

obeikandl.com

ـ لعمرى ما استحله ٠٠ لو كنت سجنتـــه ان بدا لك أو تعفو عنه ٠٠ فقام الوليد مغضبا فقال ابن الريان لعمر :

ـ يغفر الله لك يا أبا حفص ٠٠ لقد راددت أمير المؤمنين حتى ظننت أنه سيأمرنى بضرب عنقك فقال عمر :

ـ لو أمرك كنت تفعل ٠٠؟ قال :

ـ أى لعمرى ٠٠ قال عمر :

ـ اذهب ٠٠ اليك عنى

ويقال أنه لما أفضت الخلافة الى عمر بن عبـد العزيز جاء خالد بن الريان وكان صاحب الحرس فى عهـد عبـد الملك والوليد وسليمان فنظر اليه عمر وقال :

ـ ياخالد ضع هذا السيف عنك

ثم نظر عمر فى وجوه الحراس فدعا عمرو بن مهاجر الانصارى فقـال :

ـ والله انك لتعلم ياعمرو أنه مابينى وبينك قرابة الا قرابة الاسلام ٠٠ ولكنى قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلى فى موضع تظن ألا يراك أحد فرأيتك حسن الصلاة خـذ هذا السيف قد وليتك حرسى ٠٠

وسلم السيف الى عمر ٠٠ بعد أن نزعه عن خالد وهو يقول:

ـ اللهـم انى قد وضعت لك خالد بن ريان وانى لاذكـره بأوهه وتيهه ، اللهم لاترفعه أبدا ٠٠

فما رؤى شريف قد خمد ذكره حتى لايذكر كما خمد ذكر

خالد بن الريان .. كان الواحد يقول : ليت شعرى مافعل خالد .. أحي هو أم ميت ؟

***

ولم يكن عمر راضيا عن الوليد ، ولا عن حكامه فى مختلف الامصار وقد كان يقول عندما يذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الامصار أيام الوليد :

- الوليد بالشام ! والحجاج بالعراق ! وقرة بن شريك بمصر ! وعثمان بالمدينة .. ! وخالد بمكة ! اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فأرح الناس .

ولم يمض غير قليل حتى توفى الحجاج وقرة بن شريك ثم تبعهما الوليد ، وعزل عثمان وخالد وكأن الله قد استجاب لعمر

ولما أتى نعى الحجاج بن يوسف دخل الناس على الوليد يعزونه .. ولم يعزه عمر فوجد الوليد من ذلك وقال :

- ما منعك يا عمر أن تعزينى فى الحجاج كما عزانى الناس ؟ فقال :

- يا أمير المؤمنين .. انما الحجاج منا أهل البيت .. فنحن نعزى به ولا نعزى فيه . قال :

- صدقت

* * *

وكان رياح بن عبيدة قاعدا عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر الحجاج فشتمه .. وكال له السباب .. فقال عمر :

- مهـــلا يا رياح .. انه قد بلغنى أن الرجـــل ليظلم .. فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفى حقـه ويكون للظالم فضل عليه ..

وقال عمر بن عبد العزيز بعد وفاة الحجاج :

- ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدى اياه على حبه القرآن واعطائه أهله .. وقوله حين حضرته الوفاة :

- اللهم اغفر لى فان الناس يزعمون أنك لا تفعل ..

obeikandl.com